دلالة لفظة(عضّ) في نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام)

م.د. فاطمة عبدالزهرة عبدالجليل العيداني

المديرية العامة للتربية في محافظة البصرة / قسم تربية شط العرب

مديرة ثانوية شط العرب للمتفوقات

Fatimaabd925@gmail.com

الملخص:

كانت براعة الامام علي (ع) السلام واضحة في استعمله لفظة (عضّ) في سياقات مختلفة. فقد كشف البحث من خلال استقراء تلك اللفظة عن القيم الدلالية التي تؤديها عندما تنتظم في تعبير نهج البلاغة من خلال المواضع التي وردت فيها، ومعرفة دلالاتها من خلال دراسة الأبنية الوزنية التي جاءت على وفقها ضمن سياقتها اللغوية، وما يتعلق بها من القرائن اللغويّة التي كانت الأساس في تحديد دلالتها، وتنوعها.

الكلمات المفتاحية: (دلالة لفظة(عضّ)، نهج البلاغة، الإمام علي(ع)).

AN INDICATION OF THE WORD ((BITE)) IN THE NAHj al-BALAGHA OF IMAM ALI ((PEACE BE UPON HIM))

dr. Fatima Abdul Zahra Adul Jaleel ALIEDANl

the general directorate for the education in preservation Basra / section education of Arabian gulf

Secondary Arabian gulf for excellent

Abstract:

Imam Ali's prowess in peace was evident in his use of the word "bite" in different contexts. By extrapolating that word, the research revealed the semantic values it performs when it is organized into the expression of rhetoric through the positions in which it is contained, and its connotations by studying the weight structures that came within its linguistic context, and the

related linguistic evidence that wasthe basis for determining its significance and diversity.

Keywords: (the significance of the word (bite), Nahj al-Balaghah, Imam Ali (peace be upon him).

المقدمة:

تعدُّ اللّغة المنظم الوحيد لتحديد قوانين الحياة في المجتمع، وقد أدرك العرب ببصرهم الثاقب وبصيرتهم النيرة أهمية اللفظ والمعنى، وقيمتهما الدلالية في فهم النصوص، فاللغة ما وجدت إلا لغرض الفهم والإفهام، ولا يتم التفاهم إلا بوساطة الألفاظ، وما الألفاظ إلا رموز تعبر عن المعاني الكامنة في النفس، إذ هي ضرورية للتقدم العقلي؛ لأنها هي التي تثبت كل خطوة يخطوها الذهن البشري[١].

ولما كان نهج البلاغة نصاً أدبياً زاخراً بالألفاظ المكتنزة المعاني ، والتي برع الإمام (ع) في توظيفها في سياقات لغوية أبرزت دلالاتها ، وكان لها دورٌ في إضاءة النصوص والتي بدت من خلال البحث أنها تعدت الدلالة المعجمية إلى دلالات أخرى بينت براعة الإمام في توظيفها ؛ لتعطي دلالات تجاوزت دلالتها المعهودة ، لذا كان موضوع بحثي(دلالة لفظة(عضّ) في تعبير نهج البلاغة للإمام علي(ع))، وذلك عن طريق دراسة اللفظة ضمن سياقها اللغوي ، ودراسة أبنيتها الوزنية للتوصل إلى دلالتها ، إذ أن لكل صيغة معنى يناسب سيّاق القول ، ولاسيما إذا توخى المنشئ الدقة في اختيار ألفاظه ، وصيغه ، وما يترتب على هذه الأبنية من إشارات تثري المعاني الدلالية ضمن سياقها ، فللسياق الأثر الواضح في تحديد مدلولاتها ، كما يُعد الأساس في ترتيب النصوص اللغوية من حيث الخفاء والوضوح ، فهو المرشد العلمي والعملي لاستعمالات الألفاظ ،ودلالاتها على وفق القرائن المرتبطة بها.

لفظة(عضّ) في الدلالة المعجمية:

تناول المعجميون لفظة (عضّ) في معجماتهم، وبينوا الألفاظ المأخوذة منها والمحمولة عليها، وخلاصة ما أثبتوه أنّ العضّ : ((بالأسنان والفعل منه عَضضتُ أنا وعضّ ويعضُّ))[٢]. وعض (أصل واحد ، وهو الإمساك على الشيء بالأسنان ، ثم يقاس منه كل ما أشبهه ، حتى يسمى الشيء الشديد والصلب والداهي بذلك))[٣].وقولهم: ((عَضّوا عليها بالنواجذ ، وهذا مثل في شدة الاستمساك بأمر الدين ، والعضاة : اسم يقع على شجر من شجر الشوك ، وله أسماء مختلفة ، يجمعها العِضاة ، واحدتها عِضاهه، وإنما العِضاة الخالص منه : ما عظم واشتدّ شوكه ، وما صغر من شجر الشوك ، يُقال له : العِضّ))[٤]. والى مثل ذلك ذهب الراغب الأصفهاني بالقول: (العضُّ: أزْمٌ بالأسنان، قال تعالى: ((عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الغَيْظِ)) ال عمران:١١٩ عبارة عن الندم لما جرى به ، ((ويَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ))الفرقان :٢٧،وهي عادة العرب أن يفعلوه عند ذلك[٥].

فالأصل في العض هو الشدّ والأزم والضغط بالأسنان على الشيء، وتستعار اللفظة في كل مورد يشابه العضّ[٦]، فالمغتاظ والنادم يوصفان بعضّ الأنامل والبنان والإبهام قال الحرث بن ظالم المري:

فَأَقُتُلُ أقْوَاماً لِئاماً أذلَّة يعضُّونَ مِنْ غَيْظٍ رُؤوس الأَبَاهِمِ[٧]

وهذا المعنى أعم من أن يكون في مادي أو معنوي، بل إن الإمام (ع) استعمله في ما وراء الماديات أو المعنويات بصورة أبلغ وأكثر دلالة ، ومن مصادقيه استعماله في تعليماته الحربية ، ورفع الحالة النفسية للجند من أجل ربط الجأش عند مقاتلة الأعداء كما سنبين خلال البحث ، على أن للفظة (عض) في نهج البلاغة سعة

وشمولاً ولا سبيل إلى الإحاطة بدلالتها بصفة كلية إلا بمقدار ما يُوفق إليه المتأملون . وحسبي اجتهدت والله من وراء القصد . الرموز التي استعملتها في الهوامش : خ تعني خطبة وما يجري مجرى الخطب في تعبير النهج ، ك : تعني كتاب أو رسالة ، ق: تعني قصار الحكم .

دلالة لفظة(عضّ) في القرآن الكريم:

وردت لفظة (عضّ) في القرآن الكريم في موضوعين بصيغة الفعل الماضي المسند إلى واو الجماعة مرة، وبصيغة المضارع مرة أخرى ، الأول في موضع مخاطبته سبحانه للذين آمنوا ، وبيان خطئهم في موالاتهم لمنافقي أهل الكتاب ، حيث يبذلون محبتهم لأهل البغضاء ، والحال أنكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم : ((هَأَنتُمْ أُوْلاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلايُحِبُّونكم وَتُؤمِنون بالكِتَاب كُلِّهِ وإذا لَقُوكُمْ قَالوا إمَنَّا وَإذا خَلوا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْضِكُمْ إنَّ اللّهَ عَلِيمُ بذَاتِ الصُّدُور))ال عمران:١١٩، فقد خرج الفعل عن معناه الحسي إلى الدلالة على شدة الغيظ عن طريق الكناية. فالمغتاظ لشدة غيظه يعضّ على أنامله؛ علّه يجد في هذا الحركة ما يخفف من غيظه. والموضع الثاني الذي وردت فيه لفظة عضّ بصيغة الفعل المضارع في قوله سبحانه ، وهو يبين حسرة وغيظ الظالم : ((ويَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ))الفرقان :٢٧،وان كان ذلك كناية عن الندم وليس إجراء حقيقاً للعضّ ، إلا أن الفعل (عضّ) يأتي متضاماً مع على ويدل مدخولها على تحمل الفعل ووقوعه عليه وقوعاَ مباشراَ وليس على نحو تخييلي [٨] ، ويبدو أن تلك الحركة هي من عاداتهم آنذاك في بيان شدة ندمهم وحسرتهم بعد فوات الأوان . ويبدو أن في استعمال صيغة الفعل الماضي مع منافقي أهل الكتاب فيه ملامح الثبات لذلك الغيظ فهو غيظ لا يشفيه إلا العض على الأنامل، أما غيظ الظلم فهو غيظ مستمر وشديد ،

فجاء بصيغة الفعل المضارع لبيان استمراره في ذلك اليوم فلا يشفيه عضّ يدا واحدة بل يعضّ يديه كلتيهما ولا يشفي ذلك ندمه الشديد . فالقرآن الكريم استعمل اللفظة في كلا الموضوعين كناية عن الغيظ والندم والحسرة .

دلالة لفظة (عضّ) في تعبير نهج البلاغة:

يُلاحظ على دلالة (عضّ) في المنظور اللغوي المعجمي دورانها حول معنى الأزم، والإمساك والشدة والتي غالباً ما تكون بوساطة الأسنان، وهي المضامين الموضوعة بإزائها في أصل استعمالها الوضعي، ومنها تنطلق في إفادة الدلالات المجازية التي لا تبتعد كثيراً عن تلك المعاني، ولأجل فهم المدلول الواقعي لمادة (عضّ)في نهج البلاغة، لابد من توضيح تلك الدلالة على وفق ما وقعت عليه تلك اللفظة من المواضع المادية أو المعنوية أو المجازية ، فأعطتها معاني تبدو أوسع على الأغلب من مضمونها اللّغوي .

أولا: دلالة العض على اليد أو الكف:

وردت اللفظة مع اليد في قوله عليه السلام وهو يذكر حال الإنسان عند الموت في قوله :((فَهُوَ يَعَضُّ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَى مَا أَصْحَرَ لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ))[٩]. فدلالة اللفظة على الندم والحسرة التي تنتاب المرء في حالة الموت لتفريطه في العمل في الدنيا ،رسمت مشهداً تصويرياً حركياً لحسرة الإنسان وهو يعضُّ يده بعد فوات الأوان ، كمن أصحر :أي برز في الصحراء ، وظهر له وانكشف من أمره [١٠]، والإنسان عند موته تتكشف له الحقيقة ، ولا يملك في ذلك الوقت إلا الندم ،فصيغة الفعل المضارعة أعطت دلالة مستمرة لذلك الندم ، وتعدي الفعل بلا وساطة المح الى شدة الندم ، فهو ندم مطلق. أما تحسر الإمام (ع) قوله وهو يذكر أصحابه الذي بذلوا جهدهم في

نصرة الدين ،و أعرضوا عن الدنيا، بعدما رأى ذلك الإعراض من قومه عن نصرة الدين وانشقاقهم عن طريق الحق في قوله: ((أُولئِكَ إخْوَانِي الذَّاهِبُون ، فَحُقَّ لَنَا أنْ نَظْمَأَ إليْهِمْ ونَعَضَّ الأيْدِيَ عَلَى فِرَاقِهِم ْ))[١١]. فتحسر الإمام عليهم واضح لما انمازوا به من صفات ، فأراده ندما جماعياً عليهم ، وفي ذلك من معاني الذم والتوبيخ مالا يخفى لقومه . أما في سياق الترهيب والتحذير من الدنيا وسوء منقلبها ؛ لأنها (دار حرب وسَلبٍ ونَهبٍ وعطبٍ) و(أهلها على ساق وسِياق ، ولَحَاق وفِراق) فهم بين((عَاضٌّ عَلَى يَدَيْهِ ، وَصَافِقٍ لكَفَّيهِ وَمُرْتَفِقٍ بِخَدَّيْهِ))[١٢]، فقد تجلى الندم والحسرة بتلك الحركات ليبدو الموقف أشد هولاً ، وألما ، فالإنسان يعضّ اليدين معا ، فهو لا يَعضّ يداً واحدة ؛ لأنها لا تشفي ما به من الندامة والحسرة ، لتبدو حالته النفسية في قمة انفعالها وثورتها وندمها على ما فات [١٣]، فجاءت اللفظة بصيغة اسم الفاعل الدالة على الدوام والثبوت[١٤]؛ لان إسناد الفعل الى الجارحة التي تعمل بها أبلغ ؛ لاتساع مظلة الوصف بالاسم المشتق الذي يجري مجرى الفعل ليمتد أثره ، فالنّاس في ندمهم بين عاضٍ على يديه ، وصافق بكفيه لخروجه من الدنيا خالي الوفاض ، وواضع مرفقيه تحت خدّيه . فقد أسهمت لفظة (عَاضٌّ) في دلالتها في السياق مع الألفاظ الأخرى في رسم صورة كنائية بينت هيأة الإنسان وندمه بعد إدراكه أن الدنيا زائلة بعد أن أفنى عمره عليها ، بحركات أضفت على المشهد تصويراً حركياً تجلت من خلاله الحالة النفسية للنادم و المتحسر.

أمّا ندم الظّالم فقد جاء بصيغة المصدر على وزن(فَعْلة)[١٥] الذي يفيد حصول الفعل مرة واحدة، في قوله (ع) : ((لِلظَّالِمِ الْبَادِي غَداً بكَفِّهِ عَضَّةٌ))[١٦]، ليدل على الندم المطلق دون المرة ، وتبدو النكتة في استعمال المصدر للدلالة على تلك العلامة المميزة للظالم ، فأثر الندامة بدا وسمة براحة يده ملتصقة بها حقيقة لتبدو واضحة

للعيان، بعد أن كانت تقبض على الأموال من النّاس ظلماً ، فالكفَّ سميت بذلك ؛ لأنها تقبض الشيء [١٧]، فالندم شديد يوم القيامة بعد أن كنى عنه بلفظة (غداً)، بعد رؤية العذاب الأخروي ، ورؤية أهل النعيم في الجنة وغيرها من الدلالات التي تسبب حسرة الظالم؛ لنسيانه الآخرة وركونه إلى الدنيا ، وأخذه حقوق الآخرين وظلمهم. وقوع لفظة (عضة) في رتبة المسند إليه الابتدائي المتأخر عن المسند الخبري ، زيادة على كونها نكرة أفادت مطلق العموم ،وكأن العضة لشمولها شملت كفّ الظالم كلها ، وأدت غرض الإمام من التنفير من الظلم ولاسيما أذا كان هو من بدأ به .فدلالة العض على اليد أو الكف لم تتعد دلالتها المجازية في بيان الحسرة والندامة وان جاءت اللفظة بصيغ الأفعال أو الأسماء.

وتأتي لفظة(عضّ)، بصيغتين مختلفتين لتدل على غير الحسرة والندامة في قوله (ع) :((يَأْتِي عَلَى النَّاس زَمَانٌ عضوض ، يَعَضُّ المُوسِرُ فيه على ما في يَدَيْهِ ولم يُؤمرْ بذلك قال اللَّه سبحانه ((ولا تنسوا الفضل بينكم)) تَنْهَدُ فيه الأشْرَارُ وتُستَذل الأخْيَار ، وَيُبَايِعُ المُضْطرُّونَ، وقد نَهى رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ واله عَنْ بيع المضطرِّيَن))[١٨]. فالعض هنا على ما في اليد ، جعل دلالة اللفظة تخرج الى الحرص والبخل ، فالإمساك الشديد وقبض الموسر على ما يملك بيديه الاثنتين صورت الى جانب البخل شدة ذلك الزمن الذي وصفه (ع) بالعضوض على وزن (فعُول) للدلالة على من كثر منه الفعل ودام عليه[١٩]، ولفظة الموسر :وهو من تيسرت أموره (الغني) ، ومع ذلك يبخل بما عنده ،دلت على شدة ما يأتي على النَّاس من زمان عصيب يخبل فيه من كان موسراً. فالسياق فيه من التهويل لما يأتي،

ساهمت فيه لفظة (عضّ) بصيغها المختلفة في تصعيده وبيان شدته، فعض الزمان وعض الموسر رسمت صورة حركية مؤلمة لما سيقع .

ثانياً: دلالة العض على النواجذ والأضراس :

وردت لفظة (عضّ) في أغلب خطب الإمام (ع) الحربية دالة على وجوب الثبات والشجاعة في مقارعة الأعداء فقد تمحورت دلالتها حول شد العضلات والأعصاب ليكون المقاتل أكثر عزيمة وأشدّ شكيمة ، ففي كلام له يوصي فيه أبنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل : ((تَزُولُ الجِبَالُ وَلا تَزُلْ ، عَضَّ عَلَى نَاجِذك ،أعِرِ الله جُمْجُمَتَكَ ، تِدْ فِي الْأَرضِ قَدَمَكَ ، ارْمِ بِبَصَرِكَ أَقْصَى القَوْمِ .....))[٢٠]، انتظمت لفظة (عضّ) بصيغة الأمر الذي جعل من النص مكمناً للإيحاءات المنسجمة ومضمون المستوى الخطابي ، فالناجذ : هو السن بين الناب والأضراس ، وقيل الأضراس كلها نواجذ[٢١]، إذ أن العض على النواجذ يستلزم أمرين ، أحدهما، : ربط الجأش في الفشل والخوف ، والإنسان يشاهد ذلك في البرد والخوف الموجبين للرعدة ، فإنّه إذا عضّ على أضراسه سكنت رعدته، ويتمالك بدنه ، والثاني : إن الضرب مع عضّ على النواجذ لا يؤثر في الرأس كثيراً ؛ لأنه يؤدي إلى تصلب الأعصاب والعضلات المتصلة بالدماغ ، فتكون الهامة أصلب وأقوى على مقاومة السيف [٢٢] ، وهذا ما أراده الامام (ع) من أصحابه في بعض أيام صفين بقوله :((مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِين ، اسْتَشعِرُوا الخَشْيَة ، وتَجَلْبَبُوُا السَّكينة ، وَعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ ، فأَنَّهُ أَنْبَى، للسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ))[٢٣]، فدلالة العض على النواجذ تدل على طلب الثبات من المقاتل في المعركة ، ومقاومة ضربات السيوف ، فالعض عليها يجعل السيف ينبو : أي يتجافى ولا يمضي في الهامة ؛ لتصلبها ، فأراد الإمام أن يستجمع المقاتل قوته الجسدية والنفسية ، لأنها من عوامل الثبات ، ومن مستلزما ت تحقيق النصر ، وعدا

الفعل ب(على) لان في استعلائه[٢٤]، معنى السلطة والاستدامة والتمكن من العض ، وأكد على هذا ، وهو يحث أصحابه على القتال بقوله : ((فَقَدِّمُوا الدِّارعَ ، أخَّرُوا الحَاسِرَ ، وَعَضُّوا عَلَى الأضْرَاسِ ، فإنّه أنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ))[٢٥]، فاستخدام لفظة (عضّ) بصيغة الأمر في التعليمات الحربية ،أكدت رغبة الإمام (ع) في وجوب الالتزام والثبات ، فضلا عن أفادت الأمر الفور من الناحية الزمنية [٢٦]، فعزز الإمام بذلك الموقف النفسي للجند بتعليمات ربط فيها الجوانب الإيمانية بالجوانب النفسية المحضة بحيث يولد التفاعل بين الجانبين حالة نفسية ملائمة لتكوين إرادة النصر [٢٧].

ثالثاً :دلالة العض على السيف:

قال (ع) ، وهو يذكر السائرين إلى البصرة لحربه: ((فَقَدِمُوا عَلَى عُمَّالِي وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ المُسْلِمِينَ الَّذي فِي يَدِي وَعَلَى أهل مِصْرٍ كُلُّهُمْ فِي طَاعَتِي وَعَلَى بَيْعَتِي ، فَشَتَّتُوا كَلِمتَهُمْ ،وَأفسَدُوا عَليَّ جَمَاعَتَهُمْ ، وَوَثَبُوا عَلَى شِيعَتِي ، فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْراً، وَطَائِفةٌ عَضُّوا عَلَى أسْيَافِهِم ، فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا اللّه صَادقِينَ))[٢٨]، فدلالة (عضّوا) على الثبات والشدة في مقارعة الأعداء حتى الاستشهاد جلية ويبدو من تعدية الفعل ب(على) التمكن من السيوف ، والقدرة على المضاربة بها ، فهم من القلة الصادقين ، وهذا ما ألمحت إلية كلمة (أسيافهم) ،ومجيئها على وزن أفعال وهو من أوزان القلة [٢٩]، فهم قلة من أصحابه بعد أن قتلت الفئة الباغية أكثرهم غدراً بعد أن أمنوهم.

وردت اللفظة في قوله (ع) في كتاب له الى معاوية جواباً عن كتاب منه قد هدده فيه بقوله: ((وعِنْدِي السَّيْفُ الَّذِي أعْضَضْتُهُ بِجدِّك وَخَالِك وَأخِيك فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ))[٣٠]. السياق يلمح منه التهديد والغضب فالإمام (ع) لا يُهَددْ؛ لأنّه لا يَخاف الموت في سبيل الحق، فناسبت دلالة العض السياق في دلالتها على القتل، فجعل السيف مَعْضوضاً

برؤوس أهل معاوية، وكثيراً ما يأتي (أفعلته) أن تجعله (فاعلاً) ، وهي هنا من المقلوب ،(أي أعضضت رؤوس أهلك به)[٣١]، فقوة اللفظ زادت في إسناده الى ضمير العائد إلى الإمام (ع) ، إضافة إلى تقديم ذكر السّيف ، فسّيف الإمام معروف بحدته ، ما ضرب بهِ أحداً إلا قتله ، فكلامه (ع) صريح بأنّه مازال يمتلكه ، وهو من قتل بهِ جد وخال وأخ معاوية في يوم بدر. فمجيء الفعل (أعضض) على زنة (أفعل) ألمحت الى جميع الدلالات لتلك الصيغة[٣٢]، فالإمام قتلهم ،وعرّض بهم ، وسلب ما كانوا عليه من المكانة ، وأدخل السيف فيهم ، وغيرها من الدلالات التي هي بمثابة استمطار تدفق عن الحالة الشعورية للإمام إزاء معاوية ، مما أفضى إلى هذا التشكيل الدلالي أي التعبير بالصيغة الفعلية (أعضض) لتوحي بذلك الزخم المكثف من الدلالات ،فضلاً عن دلالة الفعل الأصلية على الشدة والإمساك بهم لعدم استطاعتهم الفرار من سيفه، فتوالي عطف المسميات بحرف العطف الواو ؛ لإثارة الرعب في نفس معاوية ، ولتذكيره إذا كان ناسياً. ومن خلال ذلك تبين لنا أن دلالة العض على السيوف حملت دلالة الثبات والقوة والقدرة والتمكن في كلامه عليه السلام فقد حملت اللفظة دلالتها الاصلية مع دلالات أخرى تمحورت حولها بحكم السياق اللغوي الذي جعلها تشع بدلالات مكثفة دلت على بلاغته عليه السلام.

رابعاً: دلالة العض على الجهاد:

جاءت اللفظة في سياق الحث على الجهاد ، ووجوب الالتزام به وعدم تركه ، في سياق كلام له(ع) للخوارج ، قد حثّ فيه جيشه على الثبات ، والبقاء على الجهاد بعد حادثة رفع المصاحف بقوله: ((فَقُلْتُ لَكُمْ : هَذا أمْرٌ ظَاهِرُهُ إيمَانٌ ، وَبَاطِنُهُ عُدْوَانٌ.....فَأقيمُوا عَلَى شأنكم والزموا طَرِيقَتَكُمْ، وَعَضُّوا عَلَى الْجِهَادِ بِنَواجِذِكُم ْ ، وَلاَ تَلْتَفِتُوا إلى نَاعَقٍ نَعَقَ ،إنْ أُجِيبَ أَضَلَّ، وإنْ تُرِك ذَلَّ))[٣٣]، يبدو من أن الفتنة

تعصف بالجيش ، فجاء الأمر بالعض على الجهاد ، للدلالة على وجوبه والتمسك به كما يتمسك العاض على الشيء بنواجذه كي لا يسقط ، في جعل الجهاد معضوضاً عليه بالنواجذ المح إلى ما يحتاجه المقاتلون من شدة الصبر على الجهاد ، وشدة ما يحيط بهم من الفتن من عدم الالتفات إلى أي ناعق مضل .

فدلالة العض على الجهاد حملت دلالة الفعل الأصلية وهي الشدة والامساك ، فضلاً عن دلالة الصبر والتحمل عند مجاهدة الأعداء ، كما يمسك المجاهد بسيفه يمسك على الجهاد ويحافظ عليه فلا يلتفت لأي ناعق مهما علا صوته.

خامساً: دلالة العضّ على العلم:

وردت اللفظة في قول الإمام(ع)، وهو يصف من يتصدى للحكم وليس له بأهل :((جاهلٌ خبّاط جهالات ، عاش رَكاب عشوات ،لم يَعَضَّ على العلم بضرسٍ قاطع))[٣٤]، فالسياق يصف ذلك الجاهل المتخبط في ظلمات لجهله ،عاش عن طريق الحق والدين ،فهو لم يستكمل نور بصيرته بقواعد الدين ، ويعلم كيفية سلوك طرقه[٣٥] ،فهو ما بين الجهل والعشو بلا علم ينتفع به ، فالجاهل لم يتمكن من العلم ، فيبقى في الظلمة خابطاً وعن القصد جائراً. فدلّ الفعل(يعضّ) في صورة كنائية على عدم إتقان العلم، والإحاطة به، كالذي يأكل الأكل من غير قطعه، فمن الصعب استكمال صنوف العلم بلا أداة قاطعة لطريقه، وهي الفكر والعقل وحسن التدبر، فالمعرفة السطحية به، تجعل من صاحبه كالذي يأكل الطعام من دون قطعه ، ولاسيما إذا كان مضغه يحتاج لذلك لتسهيل بلعه ، ونفي الفعل(بلم) جعل حدوث عدم التمكن مقطوعاً به، فيبقى الجاهل ليس أهلا للحكم . فدلالة العض على العلم حملت دلالة الإمساك به وضرورة تعلم كل طرقه ، فالذي لم يعض عليه كمن لم يمسك الا بقشوره فهو من يحمل صفته الا أنه جاهل بمحتواه.

سادساً: دلالة العضّ على مواضع أخرى:

وردت اللفظة مع البلاء في قوله (ع) محذراً منه : ((ذَاك إِذَا عَضّكُمُ الْبَلاءُ كَمَا يَعَضُّ الْقَتَبُ غَارِبَ الْبَعِيرِ))[٣٦]، وردت اللفظة في سياق التحذير من البلاء في المستقبل ، وهذه ما جعل فعل العضّ يحمل دلالة الشدة المصحوبة بالألم ، وهذا العدول في صيغة الفعل من الماضي(عضّكم)الى المضارع (يعضّ) في صورة تشبيهيه ، حملت معاني تحقق البلاء ، والشدة ، و استمرارهما المصحوب بالألم ، فالقتب: (أكاف البعير الذي يوضع على ظهره عل قدر سنامه)[٣٧] ، إشارة إلى أن الرّحل عند وضعه على السنام يعضُّ كاهل البعير لشدّة ما يُعقد عليه اتقاء لسقوط الراكب ؛ وهكذا البلاء يعضُّ الناس ويشدّ عليهم ، مما يزيد في عنائهم ، ويضعف قواهم حتّى يصير الشاب منهم بمنزلة الكّهْل من الضعف ، وقلّة الحيلة في تحمل مشاق هذه البلايا[٣٨] . فرسمت لفظة العضّ في سياق التشبيه إمساك البلاء وشدته كشدة القتب وإمساكه لتقريب صورة البلاء، لغرض التحذير منه. ووردت اللفظة في موضع آخر مع الفتنة، في سياق ما يقع في المستقبل من أمور كظهور السفياني أو غيره بحسب ما ذهب إليه شُرّاح النهج [٣٩]، بقوله: ((وتَقُلَتْ فِي الأَرْضِ وَطْأَتُهُ ، عَضَّتِ الفِتْنَةُ أَبْنَاءَهَا بِأَنْيَابِهَا ، وَمَاجَتِ الْحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا ، وَبَدَا مِنَ الأَيَّام كُلُوحُهَا)) [٤٠]. حمل الفعل معاني الهول والرعب والفزع المصحوب بالشدة التي تصاحب ظهور السفياني. فحصول العضّ بوساطة الأنياب إشارة إلى وحشية تلك الفتنة، فهي كالوحش المفترس يطبق بأنيابه على الفريسة بشدة خوفاً من هروبها، فالفتنة فاعلة العض، تعضُّ أبنائها بأنيابها، وهذا دليل على شمولها واتساعها فلا تبقي باقية عند مجيئها.

ووردت اللفظة في كتاب له (ع) لمعاوية بعد أن طالبه بدم الخليفة الثالث ، وقد تفرس (ع) فيما سيكون من معاوية وجنده ، أي ما تؤول إليه حالهم في المستقبل بقوله : ((

وَزَعَمْتَ أَنّكَ جِئت ثائِراً بدم عُثمان ، ولَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دمُ عُثْمانَ فَاطلبْهُ مِنْ هُناك ، إنْ كُنْت طَالِباً ، فَكانِّي قَدْ رأيْتُك تضجُّ مِنَ الحَرْبِ إذا عَضَّتكَ ضَجِيج الجِمَالِ بالأثقَالِ))[٤١]، فدلت لفظة الفعل (عضّت)على شدة الحرب وضراستها ، حتى يضج منها معاوية لشدتها وضجره من ثقلها كشدة تبرّم الجمل المثقل بالحمل ، واستعار لفظ العضّ لفعل الحرب ملاحظة لشبهها بالسبع العقور ، ووجه المشابهة استلزام تلك الأثقال للألم كاستلزام العض له .[٤٢]، فدلالة عض ّالبلاء والفتنة والحرب ، حملت دلالة الشدة المصحوبة بالألم لشدة اطباق الانياب عند العض في البلاء ، أو الشدة التي تصاحب الفتنة و الحرب وما تحمله من دلالة التفرق والتشتت وتأثيرها في النفوس . فدقة اختيار الامام (ع) للفعل (عضّ) وما يحمله من دلالات مصاحبة لحركته، جعلت من النصوص نصوصا بلاغية ذات تأثير واضح في النفوس عند سماعها، ليجعل السامع يتصور الأحداث وكأنها يشاهدها بمنظار المستقبل، فيزداد منها خشية.

<u>نتائج البحث:</u>

بعد تلك الرحلة في رحاب نهج البلاغة للبحث عن دلالة لفظة (عضّ). توصل البحث إلى نتائج التالية:

- وردت لفظة (عضّ) في القرآن الكريم في موضعين ولم تتعد دلالتها الدلالة على الحسرة والندم بعضّ الأنامل والأيدي .
- وردت لفظة(عضّ) في كتاب نهج البلاغة في ثمانية عشر موضعاً.
- وظف الإمام (ع) اللفظة في سياقات لغويّة جعلها تحمل بجانب دلالتها الوضعية المعجمية دلالات أخرى ، وان كانت تلك الدلالات تحوم حول المعنى العام للفظة.

- تدور دلالة العض حول معاني الإمساك والشدة والإلزام في الأفعال المتعلقة بالمادي والمعنوي .
- تنوعت صيغ لفظة (عضّ) بين وردها كفعل أو اسم أو اسم مشتق. وكان النصيب الأوفر في وردها كفعل بأزمنته الثلاث ، لما يحمله الفعل من دلالة الحدوث ؛ ليلائم المواقف والأحداث ، وجاء صيغة الأمر في خطبه الحربية ، لما يحمله فعل الأمر من وجوب التنفيذ ، فلاءم بذلك مواقف الحروب.
- تمحورت دلالة اللفظة حول الندم والحسرة عن تعلقها باليد أو الكف ، وخرجت دلالتها الى البخل عند تعلقها على ما في اليد .
- اثبت البحث دلالة اللفظة على الثبات في الخطب الحربية عند تعلقها بالنواجذ، لما في اللفظة من دلالة جسدية ونفسية على تهيئة الجند، وشحذ هممهم ، وإعدادهم لمقاومة ضربات السيوف ، فحققت لفظة العضَ الدلالة على الاستعداد والثبات الجسدي والنفسي معاً.
- إن لدلالة العض على النواجذ قيمة فسيولوجية مرتبطة بعضلات وأعصاب الرأس والدماغ، أكدت معرفة الإمام (ع) بها، وخبرته في إعداد الجيوش.
- دلّت لفظة العض على العلم على إتقانه المطلق، وضرورة الإحاطة بكل أطرافه، كإحاطة العاض بالشيء عند عضه.
- وردت اللفظة مسندة إلى ما هو معنوي (البلاء، والفتنة، والحرب) ، لتهويل والتخويف منها ، لما تشتمل عليه اللفظة من تلك المعاني إضافة لدلالتها المعجمية .
- استطاع الإمام توظيف لفظة العضّ في سياقات لغوية ومجازية وسعت من دلالتها ، ودلت على دقة اختياره ، وبلاغته في توظيفها .

الهوامش:

[١] – المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب:١٣٧

[٢] – كتاب العين : الخليل بن احمد الفراهيدي :٧٢/١(عض).

[٣] – معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس: ٤٨/٢(عض).

[٤] – لسان العرب، ابن منظور:٢٥٦/٩(عضض).

[٥] – مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني : ٤٦٦-٤٦٧(عض).

[٦] – التحقيق في كلمات القرآن الكريم : ١٩٧/٨.(عض).

[٧] – تفسير الكشاف : الزمخشري : ٣١١/١.

[٨] – الفعل في القرآن الكريم تعديته ولزومه: أبو أوس ابراهيم الشمسان : ٣٨٥

[٩] – نهج البلاغة : قيس العطار: خ٢١٢/١٠٨.

[١٠] – نهج البلاغة : محمد عبده:١٨٤/٢.

[١١] – نهج البلاغة : قيس العطار: خ ١٢٠/ ٢٣٦.

[١٢] – المصدر السابق : خ١٩١/ ٣٨١.

[١٣] – ينظر : البلاغة القرآنية في التصوير بالإشارة والحركة الجسمية ،د.عبدالله محمد سليمان الهنداوي: ٥٧، مصداقاً لقوله تعالى:((يَوْمَ يعَضُّ الظّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ)) الفرقان :٢٧.

[١٤] – ينظر : معاني الأبنية في العربية ،د. فاضل السامرائي: ٤٧.

[١٥] – ينظر : التطبيق الصرفي ، د. عبده الراجحي: ٧١.

[١٦] –نهج البلاغة : قيس العطار:ق١٧٤/ ٦٦٦.

[١٧] – ينظر معجم مقاييس اللغة : ١٢٩/٥(كف).

[١٨] – نهج البلاغة : قيس العطار : ق٤٤٧/ ٧٢٦.

[١٩] – ينظر : ديوان الأدب ،الفارابي: ١/ ٨٥، والفروق في اللغة ،أبو هلال العسكري: ١٢.

[٢٠] – نهج البلاغة قيس العطار : خ١١/ ٦٥.

[٢١] – معجم مقاييس اللغة : ٥/ ٣٩٢.(نجذ).

[٢٢] – ينظر : شرح نهج البلاغة : البحراني: ١/ ١٩٦. وتوضيح نهج البلاغة : الشيرازي: ٩٩/١. ومن بلاغة الإمام علي(عليه السلام) في نهج البلاغة ، عادل حسن الأسدي : ١٦٧.

[٢٣] – نهج البلاغة : قيس العطار:خ ٦٥/ ١٢١–١٢٢.

[٢٤] – ينظر : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ابن هشام : ١/ ١٦٨.

[٢٥] – نهج البلاغة : قيس العطار: خ١٢٤/ ٢٣٩.

[٢٦] – ينظر : اللغة في الدرس البلاغي ، د. عدنان عبد الكريم جمعة:٢٤٠.

[٢٧] – ينظر : أسلوب علي بن أبي طالب (عليه السلام) في خطبه الحربية ، د.علي أحمد عمران: ٩٦–٩٧.وينظر : تفسيرات فسيولوجية في نهج البلاغة ، د. عمار جاسم مسلم :١٤. للتعرف على الأثر الفسيولوجي للعض على النواجذ.

[٢٨] – نهج البلاغة : قيس العطار : خ٢١٧/ ٤٤٩.

[٢٩] –ينظر : معاني الأبنية في العربية: ١٣٥.

[٣٠] –نهج البلاغة : قيس العطار : ك٦٤/ ٦٠٧.

[٣١] – شرح نهج البلاغة ،ابن أبي الحديد : ١٨/ ١٩٥.

[٣٢] –ينظر : شرح الشافية لابن الحاجب: ٨٣/١، وأوزان الفعل ومعانيها، د. هاشم طه شلاش: ٥٦، ٧٢.

[٣٣] – نهج البلاغة : قيس العطار : خ٢٣٧/١٢١.

[٣٤] – المصدر السابق: خ١٧/ ٧٢.

[٣٥] – ينظر : نهج البلاغة : محمد عبده: ٥٢/١.وشرح نهج البلاغة : البحراني: ٢١٦/١.

[٣٦] – نهج البلاغة : قيس العطار: خ١٨٧/ ٣٧٠.

[٣٧] – لسان العرب: ١/ ٦٦١(قتب).

[٣٨] – ينظر : ألفاظ الحياة الاجتماعية في نهج البلاغة ، حسام عدنان رحيم الياسري: ٥٢-٥٣(أطروحة دكتوراه مخطوطة).

[٣٩] – أختلف الشراح فيمن قصده الإمام بهذا النص ينظر : نهج البلاغة : محمد عبده : ١/١٧٠، وشرح نهج البلاغة : البحراني : ٣/ ٤٩٢.

[٤٠] – نهج البلاغة : محمد عبده: ١/١٧٠.

[٤١] – نهج البلاغة : قيس العطار: ك١٠/ ٤٩١.

[٤٢] – شرح نهج البلاغة : البحراني :٤/٢٠٨.

المصادر:

القرآن الكريم

١- أسلوب الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام)، د.علي احمد عمران، المكتبة المتخصصة بأمير المؤمنين على (غليه السلام)، مشهد المقدسة ،١٤٣٢ه-٢٠١١م.

٢- أوزان الفعل ومعانيها ، د. هاشم طه شلاش ، مطبعة الآداب النجف الأشرف ،١٩٧١م.

٣- البلاغة القرآنية في التصوير بالإشارة والحركة الجسميّة، د. عبدالله محمد سليمان هنداوي، مطبعة الأَمانة، ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

٤- التحقيق في كلمات القران الكريم ، المحقق المفسر العلامة مصطفوي ، الناشر مركز آثار العلامة المصطفوي ط١، ١٣٨٥ه.

٥- التطبيق الصرفي : د. عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، ط٢، ١٤٣٠ه-٢٠٠٠م.

٦- تفسير الكشاف : للإمام محمود بن عمر الزمخشري(٥٢٨ه) ، ضبط وتوثيق أبي عبدالله الداني بن منير ال زهوي ، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان،٢٠١٢م.

٧- تفسيرات فسيولوجية في نهج البلاغة، د.عمار جاسم مسلم ، منشورات الاجتهاد،ط١، ١٤٣٠ه-٢٠٠٩م.

٨- توضيح نهج البلاغة : آية الله العظمى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (قدس سره)، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٣ه-٢٠٠٢م

٩- ديوان الأدب : أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم الفارابي ، تحقيق أحمد مختار عمر، مراجعة إبراهيم أنيس ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٩٧٥.

١٠- شرح شافية ابن الحاجب رضي الدين الأستراباذي ، تصحيح وتعليق ، يوسف حسن عمر، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر ،إيران ،ط٢، ١٣٨٤ه.

١١- شرح نهج البلاغة ابن ابي الحديد(٦٥٦ه)،تحقيق محمد إبراهيم أبو الفضل ، دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع،ط١، ١٤٢٨ه-٢٠٠٧م.

١٢- شرح نهج البلاغة لكمال الدين بن ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت٦٧٩ه)، دار الحبيب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ،قم، ط٢، ١٤٣٠ه.ق.

١٣- الفروق في اللغة ،أبو هلال العسكري(٣٩٥ه)، دار الآفاق الجديدة ، ط١، ١٣٩٣ه-١٩٧٣م.

١٤- الفعل في القرآن الكريم تعديته ولزومه ، أبو أوس ابراهيم الشمسان ، ط١، جامعة الكويت ، ١٤٠٦ه- ١٩٨٦م.

١٥- لسان العرب ، ابن منظور(ت٧١١ه)، اعتنى بتصحيحه أمين محمد عبد الوهاب ، ومحمد الصادق العبيدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،لبنان ،ط٣، ١٤١٩ه-١٩٩٩م.

١٦- اللغة في الدرس البلاغي ، أ.د، عدنان عبد الكريم جمعة، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع ،ط١، ٢٠٠٨م.

١٧- المدخل إلى علم اللغة العربية ومناهج البحث اللغوي ، رمضان عبد التواب ، القاهرة ، مكتبة الخانجي، ط٢، ١٤٠٥ه- ١٩٨٥م.

١٨- معاني الأبنية في العربية، د.فاضل صالح السامرائي ، ساعدت جامعة بغداد على نشره، (د.ط)،(د.ت).

١٩- معجم مقاييس اللغة ،احمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين(ت٣٩٥ه)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ه- ١٩٧٩م.

٢٠- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : تاليف الإمام ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١ه)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة صيدا ، بيروت(د.ط)، ١٤٣٤ه -٢٠١٣م.

٢١- مفردات ألفاظ القران : العلامة الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢ه)، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،ط١، ١٤٣١ه- ٢٠١٠م,

٢٢- من بلاغة الإمام علي(عليه السلام) في نهج البلاغة دراسة وشرح لأهم الصور البلاغية ، عادل حسن الاسدي ، مؤسسة المحبين ، قم ، ط١، ١٤٢٧ه- ٢٠٠٦م.

٢٣- نهج البلاغة : حققه وضبط نصه قيس بهجت العطار، مؤسسة الرافد للمطبوعات ،ط١، ١٤٣١ه- ٢٠١٠م.

٢٤- نهج البلاغة : شرح الشيخ محمد عبده ، خرج مصادره فاتن محمد خليل اللبّون، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١، ١٤٢٨ه-٢٠٠٧م.

الأطاريح والرسائل:

١- ألفاظ الحياة الاجتماعية في نهج البلاغة، حسام عدنان رحيم الياسري، جامعة الكوفة، كلية الآداب (أطروحة دكتوراه)٢٠١٢م.